من مظاهر التمرد والثورة في العراق على عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي (75هـ – 95هـ) ثورة عبد الله بن الجارود إنموذجاً

ا.م.د. إسماعيل مجبل حمد
كلية التربية للبنات–جامعة الانبار

الكلمات المفتاحية: ثوره ، الحجاج، ابن الجارود

الملخص:

أمضى الحجّاج بن يوسف السنوات العشرين من حياته والياً على العراق والمشرق من (رجب 75هـ الى شوال 95هـ / 694 – 714 م) وقضى النصف الاول من هذه المدة تقريباً في إخماد حركات التمرد والثورة التي وجه اليها كل طاقاته واستأثرت بجميع جهوده ، ورغم أن كل حركة تمرد قامت ضد الحجّاج كان لها اسباب ودوافع، إلا أنه يلاحظ أن تلك الحركات والثورات جمع بينها عامل رئيسي مُشترك هو بغض أهل العراق للحكم الأموي والعناصر التي أعتمد عليها، وتمثل ذلك في صراع إقليمي بين العراق وبلاد الشام على النفوذ والسلطة والمصالح المادية، فضلاً عن أسباب أخرى لا يسع ملخص البحث لذكرها .

وفي هذا الجو السياسي المشحون بعوامل البغض والنقمة شهد العراق كثيراً من المغامرين الذين استغلوا هذه العوامل وقاموا بعدة حركات تمرد وثورة ليس ضدَّ عمال بني أمية وولاتهم فحسب بل ضدّ الوجود الأموي من أساسه كما فعل المختار بن أبي عبيد الثقفي ، ومطرف بن المغيرة بن شعبة ، وعبدالرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي وغيرهم.

وإزاء تطرف حركات المعارضة وتطورها على النحو السابق ، سلك الأمويون سبيل الحزم والقوة لإخضاعهم ، فكان الحجّاج بن يوسف رجلهم في العراق الذي عهد إليه بتنفيذ هذه السياسة التي قضى بها على عددٍ من الفتن وحركات التمرد والثورات، كان من بينها، ثورة عبدالله بن الجارود التي تعدُّ أول حركة تمرد خطيرة يواجهها الحجّاج منذ قدومه إلى العراق، وقد حاول البحث بيان أسباب الثورة وتفاصيلها، مع بيان أهم النتائج المترتبة عليها .

المقدمة:

تناولت الدراسة بعضاً من أسباب التمرد والثورة في العراق على عهد ولاية الحجّاج بن يوسف الثقفي وكانت ثورة عبد الله بن الجارود الأنموذج الذي خُصَّ بالبحث صعوبات البحث : واجهت الدراسة بعض الصعوبات، منها ندرة المعلومات المتعلقة بثورة عبد الله بن الجارود، إذ أوردتها معظم المصادر التاريخية بشكل مقتضب جداً ، واكتفت بذكر تاريخ الثورة ومقتل عبد الله بن الجارود مع ذكر بعض النتائج في ميدان المعركة، ولعلّ معظم معلومات البحث المتعلقة

بالثورة المذكورة استقيناها من كتاب انساب الاشراف للبلاذري، الذي أسهب كثيراً في ايراد تفاصيلها .

أهمية الدراسة وترجع أنها برّزت دور الحجّاج في كيفية معالجة المواقف الصعبة التي تمثّلت بظهور حركات التمرد والثورة في العراق ضد الحكم الأموي ، فضلاً عن إبراز أسباب ثورة إبن الجارود وأهم نتائجها.

طريقة المعالجة: استخدام المصادر واعتماد طريقة التحليل والاستنتاج العلمي للمعلومات المستقاه من المصادر .

وقسّمت الدراسة الى مبحثين، تناول الأول بعضاً من أسباب التمرد والثورة في العراق على عهد ولاية الحجّاج ، وتناول الثاني ، ثورة عبد الله بن الجارود ، أسبابها ونتائجها .

بعض من أسباب التمرد والثورة على عهد ولاية الحجّاج (75هـ-95 هـ).

أمضى الحجّاج بن يوسف السنوات العشرين من حياته والياً على العراق والمشرق من (رجب 75هـ الى شوال 95هـ / 694 – 714 م) وقضى النصف الاول من هذه المدة تقريباً في إخماد حركات التمرد والثورة التي وجه اليها كل طاقاته واستأثرت بجميع جهوده، وكان لها بالتالي الأثر البالغ على آرائه وأفكاره السياسية. وعلى الرغم من أن كل حركة تمرد قامت ضد الحجّاج كان لها اسباب ودوافع، إلا أنه يلاحظ أن تلك الحركات والثورات جمع بينها عامل رئيسي مُشترك هو بغض أهل العراق للحكم الأموي والعناصر التي أعتمد عليها، وتمثّل ذلك في صراع إقليمي بين العراق وبلاد الشام على النفوذ والسلطة والمصالح المادية. كما يلاحظ أنَّ هذا الصراع وإن كانت آثاره ترجع إلى ما قبل الإسلام على ما كان عليه الحال بين المناذرة والغساسنة، إلّا أنَّ تطور الأحداث السياسية في القرن الأول الهجري ساعد بشكل واضح على تعميق المنافرة بين عرب العراق وعرب الشام ، مع أن بعض القبائل التي نزلت هذين الإقليمين كانت تنتمي إلى أصول واحدة.

والراجح أنَّ التطور الاجتماعي و الاقتصادي والسياسي للعناصر العربية في كل من الإقليمين سار في اتجاه معاكس للإقليم الآخر، إذ استقر عرب العراق في الكوفة والبصرة اللتين تحولتا بسرعةٍ من قاعدتين عسكريتين إلى مدينتين يغلب عليها الطابع المدني، الأمر الذي ساعد على اضعاف الروح العسكرية لدى سكانها من العرب ، في حين ظل عرب الشام يقيمون في أجنادهم الخمسة التي كانت أشبه بالمعسكرات القريبة من المدن، فاحتفظوا بروحهم العسكرية ، فضلاً عن أنَّ المناطق الخصبة المحيطة بالكوفة والبصرة أغرت عرب العراق وأبناءهم بالاستقرار وامتلاك الأراضي الزراعية والجنوح إلى الراحة والدعة (المبرد ، ج1،ص 380د.ت) ، وهو أمر يختلف عن طبيعة بلاد الشام الأقل خصباً مما جعل المتعاقبة لعرب الشام تتطلع لاحتراف الجندية والقتال كمصدر للعيش.

ولا ننسَ أنَّ عرب العراق قاموا إبان حركة الفتوح الأولى بجهود مشكورة في فتح الأقاليم الشرقية والشمالية من العراق ، وباتوا يشعرون بحقهم في المشاركة في الحكم والسيادة ، أو على الأقل في التفرد بإدارة شؤون اقليمهم ومقاومتهم لأي محاولة خارجية لحكمه ، وزاد الأمر تعقيداً قيام دولة الخلافة الأموية على أكتاف الجند الشاميين ، وتفضيلهم على الجند من عرب العراق

والأمصار الأخرى في العطاء وغيره من الامتيازات الخاصة بميادين القتال ، مما أوغر صدور أهل العراق وزاد من حدة معارضتهم لهذا الحكم.

وكان بنو أمية يحملون عرب العراق على مواصلة الفتح في الأقاليم الشرقية التي تميزت بوعورتها وشدة بأس أهلها ، لا سيما الترك منهم ، ويعتبرون الاشتراك في حملات الفتوح شرطاً أساسياً لاستمرار العطاء الذي أصبح أيضاً رمزاً للتقدم والشرف. وهنا نجد أنَّ عرب العراق يحرصون على أخذ العطاء مع عدم إظهار أي رغبة حقيقية في القتال والميل إلى البقاء في أمصارهم يتمتعون بما في أيديهم من خيرات. فالدولة تقدم العطاء وتصرّ على استئناف الفتوح غير مدركة للتحول الاجتماعي الذي طرأ على عرب البصرة والكوفة ، وأهل العراق يريدون العطاء ولا يرغبون في فتح ولا حرب ، وهذا على ما يبدو، هو صلب المشكلة في العلاقات الأموية العراقية (الراوي ، ص177، 1970).

يضاف إلى ذلك أنَّ الخلافات السياسية التي ظهرت بشكلٍ حادٍ بعد حادثة قتل الخليفة عثمان بن عفان(ﷺ) وتفاقم النزاع بين الخليفة علي (رضي الله عنه) ومعاوية جعلت من العراق مركزاً للمعارضة ضد بني أمية ، وتمثّلت هذه المعارضة في الشيعة والخوارج الذين عملوا على محاولة تقويض الحكم الأموي بكافة السبل والوسائل وعمّقوا المشاعر العدائية لذلك الحكم (البلوي، ج2،ص433 ، 1287ه). وكان أهل العراق منذ أنْ انتقلت عاصمة الخلافة من الكوفة إلى دمشق يتطلعون إلى اليوم الذي يعيدون فيه مركز الدولة إلى بلادهم ويعدّونَ عرب الشام مغتصبين للخلافة والحكم وينظرون إلى أنفسهم على أنهم أحق منهم بمراتب الشرف والرياسة. ثم أنَّ أهل العراق كانوا يتمتعون منذ عهد المناذرة بقسطٍ من الحرية والاستقلال أكثر مما كان يتمتع به أهل الشام ، وأنَّ عرب العراق بما كان يفد عليهم باستمرار من أعراب البادية ظلّوا أقلَّ تقبلاً وخضوعاً لقواعد الطاعة والنظام التي حاول الولاة الأُمويون فرضها عليهم دون جدوى . ولعلَّ ذلك راجع إلى أنَّ العراق ظلَّ يضمّ تشكيلات قبلية كبيرة لها وزنها وخطرها في توجيه سياسة ذلك الاقليم ، فهناك قبائل مضرية وأخرى يمنية متنافسة وثالثة تنتمي إلى ربيعة تقف أحياناً على الحياد وتميل أحياناً أخرى إلى هذه أو تلك حسب ما تقتضيه المصلحة ويتطلبه الظرف (فلهوزن ، ص209، 1968).

وفضلاً عن ذلك شهد العراق في هذه المدّة إقبالاً ملحوظاً من بعض السكان المحليين لا سيما الموالي من الفرس على الدخول في الإسلام ، دين العرب الفاتحين أملاً في الحصول على المساواة في الحقوق والواجبات مع العرب المسلمين لا سيما ما يتعلق بالعطاء والاعفاء من الخراج والجزية ، فلمّا لمْ يتحقق أملهم تحوّلوا إلى عناصر تضطرم بالسخط والحقد وغدوا مادة مهيأة لتغذية حركات التمرد والثورة.

وفي هذا الجو السياسي المشحون بعوامل البغض والنقمة شهد العراق كثيراً من المغامرين الذين استغلوا هذه العوامل وقاموا بعدة حركات تمرد وثورة ليس ضدَّ عمال بني أمية وولاتهم فحسب بل ضدّ الوجود الأموي من أساسه كما فعل المختار بن أبي عبيد الثقفي ، ومطرف بن المغيرة بن شعبة ، وعبدالرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي وغيرهم (المحمدي، 106 ، 2017).

وإزاء تطرف حركات المعارضة وتطورها على النحو السابق ، وجد الأُمويون أنفسهم أمام أمرين لا ثالث لهما ، فأمّا أنْ يسلّموا الأمر إلى أهل العراق الذين سعوا إلى القضاء على الحكم الأموي ،

وإمّا أنْ يسلكوا سبيل الحزم والقوة لإخضاعهم فاختاروا السبيل الثاني(الراوي ، ص177، 1970). وكان الحجّاج بن يوسف رجلهم في العراق الذي عهد إليه بتنفيذ هذه السياسة التي قضى بها على عددٍ من الفتن وحركات التمرد والثورات .

المبحث الثاني : ثورة عبدالله بن الجارود

1- اسمه ونسبه وشخصيته:

اسمه عبدالله بن بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى العبدي (البلاذري، ج7،ص283،1996؛ابن الاثير ،ج3،ص432 ،1997) زعيم وسيد قبيلة عبد القيس التي تنتسب إلى ربيعة (ابن قتيبة ،338 ،1992، ابن خلدون،ج2، ص359 ،1988) ، وكان رجلاً شجاعاً وصاحب رأي وفصاحة (ابن الاثير ،ج7،ص238 ، 1997؛ الزركلي، ج2، ص55، 2002)، وكان أبوه الجارود المعروف بإسم بشر بن عمرو بن حنش بن العبدي سيد قومه في الجاهلية ، وقد وفد على الرسول(صلّى الله عليه وسلّم) وأعلن إسلامه وثبت عليه ، حتى اذا استشهد ابان حركة الفتوح الأولى عام (20هـ/650م) انتقلت مراتب الشرف منه إلى ولده عبدالله الذي آلت اليه زعامة عبد القيس بالإضافة إلى كونه واحداً من كبار التابعين في البصرة (ابن سعد ، ج7، ص86، 1960).

2- ثورة عبدالله بن الجارود أسبابها ونتائجها.

تعدُّ هذه الثورة أول حركة خطيرة يواجهها الحجّاج منذ قدومه إلى العراق ، وقد وقعت عندما كان الحجّاج يعسكر في عدّة آلاف من أهل البصرة والكوفة في رستقباذ* لمساعدة المهلب بن أبي صفرة في قتال الخوارج وإمداده من هناك بالقوات والذخائر عند الحاجة ، وقاد حركة التمرد هذه عبدالله بن الجارود العبدي ، ويقال له عبدويه (ابن الأبار، ج1، ص84 ، 1985)، ،، وقد ذكرت أخبار هذه الثورة في معظم المصادر، إلّا أنَّ البلاذري يُعدُّ أحسن مَنْ أورد تفاصيلها وأسبابها في كتابه أنساب الأشراف(البلاذري،1996)، ونقل ابن الأثير وابن خلدون هذه التفاصيل وضمّناها تاريخهما دون تصرف يذكر (ابن الأثير ،ج4، ص381، 1965،ابن خلدون، ج2، ص359،1988) ، في حين اختصرتها المصادر الأخرى إختصاراً شديداً لا يتناسب مع أهميتها (خليفة بن خياط، ج1، ص347، 1967،الطبري، ج6،ص212، 1387،ابن قتيبة،ص338 ،1995).

أمّا دواعي هذا التمرد فيمكن أنْ نرجعها إلى الأسباب الآتية:

أولاً- إرغام الحجّاج أهل البصرة والكوفة على الخروج من ديارهم لمقاتلة الخوارج وتهديده كل من يتخلّف منهم بالقتل (ابن خلدون ، ج3، 95، 1988) ، فخرجوا على كرهٍ منهم خوفاً من العقوبة لا رغبة في القتال ، فضلاً عن موقفهم السلبي من الولاة الأُمويين وتراجع الروح الحربية لديهم الأمر الذي جعلهم ينتهزون أول فرصة أو مبرر للعودة إلى بلادهم (المحمدي،ص108 ، 2017).

ثانياً- تهديد الحجّاج لأهل العراق بالمرابطة في مواقع القتال مدّة غير محدودة حتى يتم القضاء على الخوارج ، وأبلغهم ذلك صراحة في أول خطبة له حين نزل رستقباذ في أواخر شعبان عام(75هـ/ ٦٩٤م)،(الطبري، ج6، ص214 ، 1387) إذ قال: " يا أهل المصرين ، هذا المكان والله مكانكم ..... ، حتى يهلك الله هؤلاء الخوارج المطلّين عليكم ". فقال له الناس: " ولِمَ تحبسنا ،

أصلح الله الأمير .... سِرْ بنا إلى هؤلاء الكلاب فما هم اذا اجتمع أهل المصرين عليهم بشيء "البلاذري، ج7، ص282 ،1996). ويتّضح من هذا الرد أنَّ أهل البصرة والكوفة لم يتقبلوا نبأ تجميرهم في ميادين القتال بالرضى والارتياح.

ثالثاً- إعلان الحجّاج عن عزمه على إنقاص عطاء كلّ محارب من أهل العراق مائة درهم ، وهي قيمة الزيادة التي زادهم إيّاها مصعب بن الزبير وظلّت سارية المفعول بعد عودة العراق للحكم الأموي (المكي، ص134، 1998)، واجرى مصعب على أهل العراق عطاءين في السنة ، احدهما في الشتاء والآخر في الصيف ، ممّا جعل الاستمرار في هذه السياسة المالية يُنذر باستنزاف أموال الدولة التي كانت تعاني في ذلك الوقت من ضائقة مالية لا سيما في السنوات الأولى من حكم عبدالملك ، وترجع أسباب هذه الضائقة إلى كثرة الثورات والفتن وتوقف حركة الفتوح ، ويبدو أنَّ الضائقة المالية التي كان يعاني منها عبدالملك هي التي اضطرته إلى الاقتصاد في الاعطيات والنفقات ، وقد انعكس هذا الوضع بصورة واضحة في العراق ، إذ كان فيه عدد كبير من المسجّلين في ديوان العطاء ، وكان الحجّاج قد جعل صرف العطاء للمسجلين من الجند في ديوان العطاء متوقفاً على تلبيتهم لنداء الانخراط الفعلي في صفوف المقاتلين وبلائهم في القتال ، لأن كلاً منهم كما ذكر الحجّاج : انهم اجراء ولا يستحقون الا بقدر عملهم (البلاذري ، ج7، ص283، 1996 ،الطبري، ج3، ص555 ،1387هـ) . كما حدّد الحجّاج عطاء عامة الجند بثلاثمائة درهم سنوياً (البلاذري ، 1996،الدوري والمطلبي ، ص376، د.ت) ، وذلك في أعقاب إنقاصه اعطياتهم مائة درهم وهي الزيادة التي زادهم إياها مصعب بن الزبير ، فضلاً عن ذلك حتّمَ على كل جندي أنْ يجهّز نفسه للقتال بعدّة حربية كاملة ، تضمُّ فرساً ودرعاً وقوساً وسهاماً ، ولعلَّ الحجّاج استهدف من تحديد هذا المبلغ الذي لا يكاد يفي بتوفير الأسلحة والمعدات (البلاذري،ج7، ص282 ،1996) ضمان ولاء الجنود وجعلهم يحسّون دائماً بحاجتهم إلى الدولة وخوض حروبها لنيل حصتهم من الغنائم ، ورفع مستواهم المادي .

وكان الحجّاج يطبق بذلك نصيحة الخليفة عبد الملك حين أوصاه أن يجمر أهل العراق ويتابع عليهم البعوث ويستعين عليهم بالفقر ، لأنَّ الفقر على حدِّ قول الخليفة عبد الملك: جُند الله الأكبر ، وكان هذا الخليفة يتمثل بالقول المعروف " أجع كلبك يتبعك" (القلقشندي ، ج3، ص346، 1964) ، وقد كتب الحجّاج بهذه النصيحة إلى قتيبة بن مسلم عندما شكا إليه ترك أهل الشام طاعته بخراسان بين له في كتابه ان يحرمهم ويفقرهم مؤكداً له ان الفقر هو جُند الله وبه يذلّ كلّ جبار عنيد (البلاذري ،ج13، ص419 ،1996).

وكان الحجّاج قد أشار إلى إنقاص الزيادة في خطبةٍ وجّهها إليهم مبيناً فيها إنَّ هذه الزيادة التي اغدقها ابن الزبير، أنّما هي "زيادة مُلحِد منافق فاسد" (حسب تعبيره) وانه يرفضها ولا يجيزها (البلاذري ، ج7، ص282، 1996 ، مسكويه ، ج2، ص260، 2000، ابن الجوزي،ج6، ص165 ،1992) .

وكانت تلك الخطوة العامل المباشر الذي فجّر ثورة العراقيين ضد الحجّاج ، وقد تصدّى عبدالله بن الجارود للرد على الحجّاج موضحاً: بأن الزيادة ليست زيادة ابن الزبير ، أنّما هي زيادة أعطاها أمير المؤمنين عبدالملك ، وهو الذي اقرها وأجازها وانها جرت على يد اخيه بشر بن مروان. فرد عليه الحجّاج بكلام مغلظ وان هذا الكلام لا يحق له المجادلة فيه ومهدداً إياه ان لم

يحسن حمل رأسه بأنه سيسلبه اياه، واستنكر ابن الجارود هذا القول من الحجّاج ، وقال له بلهجة لا تخلو من تهديد: " ولِمَ هذا القول ، والله إنّي لك لناصح وأنَّ قولي هذا لقول مَن ورائي" (البلاذري، ج7،ص283، 1996،ابن الأثير، ج3، 427،1965، الذهبي، ج5، 324، 1993، ابن كثير،ج9 ،ص14 ،1986).

ويبدو أنَّ الحجّاج بن يوسف فوجئ بهذا الرد من عبدالله بن الجارود ، الذي ينطوي على تهديد مبطّن بإعلان العصيان إذا أقدم على تنفيذ خطته ، فآثر التريث والانتظار حتى يتدبّر الأمر ويتخذ له الترتيبات اللازمة ، وظلَّ على هذه الحال أكثر من ستة شهور لا يذكر إنقاص الزيادة . وخلال هذه المدّة استطاع الحجّاج أنْ يستميل رجلاً معروفاً من قبيلة عبد القيس التي ينتمي إليها ابن الجارود ، وهو مصقلة بن كرب بن رقبة العبدي ويعدّه للرد على عبدالله بن الجارود إذا قام الأخير برفض اقتراحه ثانية ، فلمّا أعاد الحجّاج القول في إنقاص الزيادة تصدّى له ابن الجارود من جديد وردَّ عليه بمثل ردّه الأول ، وهنا قام مصقلة بن كرب وقال: " ليس للرعية أنْ تردَّ على راعيها ، وقد سمعنا ما قال الأمير فسمعاً وطاعة فيما أحببنا وكرهنا " (البلاذري ، ج7،ص283، 1996 ، المكي،ص113 ، 1998).

وعلى إثر ذلك تأزّمت الأمور بين الجانبين وأدركَ أهلُ العراق أنَّ الحجّاج مُصمّمٌ على إنقاص أُعطياتهم والاستمرار في إجبارهم على الخروج للقتال ، فصمّموا على إعلان التمرد على عاملهم الجديد وإخراجه من العراق والتقدّم بطلب إلى عبدالملك بن مروان ليولّي عليهم غيره وإلّا أعلنوا العصيان على الخليفة نفسه وخلعوه ، ويصف البلاذري (البلاذري ، ج7، ص284 ،1996) تهيؤ العراقيين للثورة على الحجّاج قائلاً: " وأتى الوجوه عبدالله بن الجارود ، فصوبوا قوله ورأيه في ردّه على الحجّاج وإباءه ما أتى به ، وقال له الهذيل بن عمران البرجمي- ينسب إلى البراجمة - وعبدالله بن حكيم المجاشعي – ينسب إلى مجاشع - وغيرهما: بانهم معه ويده وأعوانه وبإنَّ هذا الرجل ليس من حقه ان يحرمهم هذه الزيادة فبايعوه على إخراجه من العراق ثم يكتبون إلى عبدالملك بأنْ يولّي عليهم غيره مستغلين هيبته لهم بوجود الخوارج فبايعوه وأعطوه المواثيق على الوفاء وعدم الغدر وأخذ بعضهم على بعض المواثيق والعهود .

ترامت أنباء هذه الاستعدادات إلى مسامع الحجّاج بن يوسف فبادر إلى العمل على إحباطها وحصر التمرّد في أقلِّ مجموعة من الناس، ففرّق التقسيمات السكانية الخمسة لأهل البصرة والتقسيمات الرباعية لأهل الكوفة بعضها عن بعض ، وجعل بينهم طرقاً ، وعيَّن عليها حرساً ليمنع اختلاط أيّ فريق بالآخر، ووضع في الوقت نفسه حراسة مشددة على بيت المال ، إلّا أنَّ هذه الاحتياطات لم تجدِ نفعاً ، إذْ أكمل العراقيون استعدادهم للتمرد وأعلنوه في ربيع الثاني سنة (76هـ /695م) بقيادة عبدالله بن الجارود الذي استولى وأصحابه على خزائن الحجّاج ومخازن سلاحه (البلاذري ،ج7، ص 284،1996) . بعث الحجّاج بن يوسف برسول من قِبله إلى ابن الجارود يستدعيه ، فأبى وأغلظ القول في الحجّاج وأصرَّ على مغادرته العراق ، وعند ذلك أبلغ الرسول عبدالله بن الجارود رسالة تهديد شفوية من الحجّاج ذاكراً له فيها "بانه لتطيبُ نفسه بقتله وقتل أهل بيته وعشيرته وان لم يأتيه ويرضخ للطاعة والذي نفس الحجّاج بي ليذعنَّ قومه عامة وأهل بيته خاصة وهنا أساء ابن الجارود إلى مبعوث الحجّاج وأهانه ، ممّا

يعني قطع كل أمل في حصر الخلاف بين الجانبين وعدم تحوّله إلى المواجهة المسلحة (البلاذري ،ج7، ص284، 1996؛ ابن الاثير، ج3، ص427، 1965).

زحف أنصار عبدالله بن الجارود نحو الحجّاج وهم لا يعتزمون القضاء عليه وإنّما هدفوا إلى إرهابه وإرغامه على مغادرة العراق كما كانوا يفعلون مع غيره من الولاة والعمال السابقين ، وأراد المتمردون أنْ يحصروا خلافهم مع الحجّاج بن يوسف ويتجنبوا ما استطاعوا مخالفة عبدالملك الخليفة الشرعي للمسلمين. واستطاع هؤلاء بسهولة أنْ يجتاحوا معسكر الحجّاج ويصلوا إلى فسطاطه ونسائه ويستولوا على كثير من متاعه ودوابه ، ممّا جعل الحجّاج يواجه وضعاً خطيراً لا يحسد عليه (البلاذري ،ج7، ص285، 1996).

ويبدو أنَّ زمام الأمور قد أفلت من عبدالله بن الجارود إذ تجاوزت حملة إرهاب الحجّاج غايتها الأمر الذي جعل عدداً غير قليل من المتمردين يداخله الخوف من مغبة الاستمرار في العصيان ، فبادر أهل اليمن إلى حمل إمرأة الحجّاج هند بنت النعمان بن بشير الأنصاري وفرضوا حمايتهم عليها ، كما جاءت مضر فأخذت إمرأته أمُّ سلمة بنت عبدالرحمن بن سهل بن عمرو القرشي ، مخافة أنْ تتعرض لسوء على يد السفهاء ، " وانضم إلى الحجّاج قوم من أهل البصرة والكوفة ممّن أوجسوا خيفة من محاربة السلطان ومخالفته ، وبذلك تحسّن موقف الحجّاج بعض الشي ، إلّا أنَّ قوّته ظلّتْ دون قوّة المتمردين ، وقد أشار بعض أصحاب ابن الجارود عليه أنْ يعجّل قتال الحجّاج قبل أنْ يكثر مناصروه ، ولكنّه أخّرَ ذلك حتى اليوم التالي " (البلاذري، ج7، ص285، 1996) .

جمع الحجّاج بن يوسف كبار أعوانه ومساعديه واستشارهم فيما يجب عمله لمواجهة هذا التمرد الخطير ، فأشار عليه زياد بن عمرو العتكي صاحب شرطته على البصرة يأخذ له اماناً من القوم ليتمكن من الخروج ويلتحق بأمير المؤمنين وذلك لانفضاض الناس من حوله ، وان لا يجازف بالقتال بمن معه ولا يعرض نفسه للهلاك (البلاذري،ج7، ص286 1996؛ ابن الاثير ، ا ج3،ص428، 1965) . أما عثمان بن قطن الحارثي فأشار عليه برأي آخر ذاكراً له ، إنَّ أمير المؤمنين قد أشركه في أمره وانه سار الى ابن الزبير أعظم الناس خطراً فغلبه وقتله كما ان امير المؤمنين ولاه على الحجاز ثم رفعه إلى ولاية العراق ، فالآن وبعد ما حققه من انجاز وهابته العرب لا يتعين علية الخروج هارباً الى الشام خوفاً من المواجهة ، وانه والله لئن فعلها لن ينال من الخليفة عبدالملك مثل الذي حازه من السلطان ولتسقط مكانته لدى الخليفة وليهونن على عدوّه ، وبأنه يرى أنْ يستعدوا ويمشوا الى عدوهم بسيوفهم فيقاتلونهم واما الموت كراماً او النصر المظفر ، فرد عليه الحجّاج بانه جاد وتكلم ما في قلبه ايضاً ، وان الراي ما رأى، ويذكر: أنَّ عبدالرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي أحّد أعوان الحجّاج أشار عليه بعدم القتال لقلّة عدد أصحابه وعدم توفّر السلاح لديه ، إلّا أنَّ الحجّاج ، وقد استقر رأيه على منازلة المتمردين، (البلاذري،ج7، ص287 ، 1996؛ ابن الاثير ا،ج3،ص428، 1965).

وعندما استقر رأي الحجّاج بن يوسف على مواجهة الموقف، أرسل رُسلاً من قِبله إلى رؤساء القبائل العربية المرابطة في المنطقة يطلب منهم أنْ يأتون اليه وينصرونه ، وقد ردَّ عليه عامر بن مسمع من ربيعة وسحيم بن شعيب الحنفي من بني بكر أنْ يأخذا له أماناً من الناس ويلحق بعبد

الملك ، أمّا رؤساء تميم فقد أعربوا عن استعدادهم إذا أتاهم ، وهو أمر لم يقبله الحجّاج لِما فيه من الإهانة والعار لأنه أمير العراق (البلاذري،ج7،ص288 ،1996).

وقد حدثت في هذه الأثناء تطورات في صالح الحجّاج إذ قَدِمَ عباد بن الحصين سيد قبيلة الحبط التميمية (كحالة ،ص283، 1968) ، وانضم مع مائة فارس من قومه إلى صفوف الحجّاج الذي سرَّ كثيراً بهذا التحول حتى قال لعباد بن الحصين: لا أُبالي مَنْ تخلّف بعدك ، كما أنَّ قتيبة بن مسلم الباهلي أقبل في ثلاثين من قبيلة أعصر القيسية لنصرة الحجّاج القيسي النسب وقال: والله لا أدع قيسياً يقتل وينهَب ماله وأخذت الناس تتوافد على معسكر الحجّاج ، كما غيّرت ربيعة من موقفها عندما رأت بداية تحوّل الموقف إلى جانب الحجّاج ، وأرسل اليه زعيمها مسمع بن مالك مسانداً له وإنْ شاء أتاه او يقوم بثبيط الناس عنه ، فطلب منه الحجّاج عدم الحضور والبقاء في منازله ويثبط الناس عن الخروج والالتحاق بصفوف أعدائه (البلاذري ،ج7، ص287 ،1996).

إطمأن الحجّاج بن يوسف إلى قوّته الجديدة بعد أنْ بلغَ عدد الذين عادوا إلى الالتحاق به ستة آلاف شخص ، وخرج لقتال المتمردين الذين يرأسهم عبدالله بن الجارود ، وأخذ الحجّاج يحرّض أصحابه على الاستبسال في القتال ويقول: " لا يهولنّكم ما ترون من كثرة عدد عدوّكم فأنّه ليس بكم ، والحمد لله قلّة ولا ذِلّة ، فشدّوا عليهم يتطايروا تطاير طير الأجمة المنفر ، إنّهم أخور من اليراع – القصب الأجوف – (ابن منظور،ج1، ص471 ،١٤١٤هـ) ، وإنْ صدقتموهم الضرب سألوكم الأمان" (البلاذري،ج7، 289 ،1996). وقد بدأ القتال سجالاً بين الجانبين وانتهى بمقتل ابن الجارود سنة(76هـ) وهزيمة أصحابه (البلاذري ، ج7،ص289، 1996 ، الطبري،ج3،ص551 ، 1387 هـ ، مسكويه ،ج2،ص260، 2000 ، الذهبي،ج5،ص324 ، 1993) . وهنا أمرَ الحجّاج بألاّ يتبع المنهزمون قائلاً: " الإتباع من سوء الغلبة " (البلاذري،ج7،ص289 ،1996) ونادى مناديه بأمان الناس إلّا الهذيل بن عمران البرجمي ، وعبدالله بن حكيم المجاشعي ، الّذَيْنِ سعّرا تلك الفتنة ،على حدِّ قوله ، وقد أمر الحجّاج بقتلهما ، إذ صُلبا مع عبدالله بن الجارود ، وأرسل رؤوس هؤلاء الثلاثة مع رؤوس سواهما إلى عسكر المهلّب (البلاذري ،1996، ابن حبيب ،د.ت) ، حتى تقوى نفوس أصحابه ويبأس الخوارج ممّا بلغهم من اضطراب أمر الحجّاج بعد تمرد ابن الجارود عليه. ثم لم يلبث أنْ أمرَ الناس بالعودة إلى أمصارهم وأقبلَ هو عائداً إلى البصرة (البلاذري، ج7،ص1996،291؛الطبري ج3، ص552، 1387هـ ، مسكويه، ج2، ص260 ، 2000) ، وبعث إلى عبدالملك كتاباً يخبره فيه بانتصاره على المتمردين في رستقباذ ، واستهله بالحمد لله الذي حفظ أمير المؤمنين في سلطانه وجعل دائرة السوء على من خالفه ، وأُخْبِرْ أمير المؤمنين ، بانه لمّا نزل منزله من رستقباذ وثب عليه أهل العراق وخالفوه ونابذوه ودُخلوا فسطاطه وانتُهبوا أمواله وقالوا له أُخرج من بلادنا إلى مَن بعثك الينا فافترق عنه قومه ، الا انه لم يستسلم فشدد عليهم بسيفه ولقيهم بشيعته حتى تمكن منهم وانتصر عليهم ، وقتل ابن الجارود وثمانية عشر من رؤوسهم ، وضرب الله وجوههم فأخذوا شرقاً وغرباً ، حتى أمّن الناس وتراجعوا والتحقوا بأمصارهم فردَّ عليه الخليفة عبدالملك بأنه بلغه كتابه وهو الناصح الأمين والقليل العيب وانه اذا رآبه شيء من أهل العراق فليقتل أدناهم لكي يهاب أقصاهم (البلاذري ،ج7، ص292 ،1996).

ويقال أنّ الحجّاج تمثّل في رستقباذ بعد انتصاره على ابن الجارود بقول الشاعر سويد بن أبي كاهل، وهو شاعر مخضرم توفى سنة (64هـ/683م) : (الجمحي، ص112،1980) .

كيف يرجون سقاطي بعدما جلل الرأس بياض وصلع (ابن منظور، ج2، ص134 ،1414)
رب من انضجت غيظاً صدره قد تمنى لي موتاً لم يطع
ويراني كالشجا في حلقه عسراً مخرجهُ ما ينتزع
مزبد يخطر مالم يرني فاذا أسمعته صوتي انقمع
قد كفاني الله ما في نفسه ومتى ما يكف شيئا لم يضع
ويحييني اذا لاقيته واذا يخلو له لحمي رتع
قد كفاني الله ما في نفسه واذا ما يكف شيئاً لم يضع (ان قتيبة، عيون الاخبار،ص10،1963؛ ابن قتيبه، الشعر والشعراء،ج1،ص421، 1958)

وإذا كان هذا التمرّد قد انتهى بالفشل بسبب تردد أصحاب عبدالله بن الجارود في القضاء على شخص الحجّاج وتأخرهم في منازلته ، ممّا هيأ له الفرصة لجمع قواته ، فأنَّ الحجّاج نفسه يتحمل جانباً من مسؤولية التمرد ، وذلك عندما لجأ إلى إنقاص عطاء الجند دون أنْ يقدّم مبرراً معقولاً لقبول هذا الإجراء الذي يتعلّق بالكيان الاقتصادي المباشر للأفراد ، ولم يحاول أنْ يشرح لعرب العراق الأهداف الحقيقية لتلك الخطوة التي تطلبتها مصلحة الدولة ، كما يعدهم بإعادة تلك الزيادة لدى الانتهاء من القضاء على الخوارج واستئناف الفتوح فكان طبيعياً والحالة هذه أنْ تواجه خطواته بمقاومة عنيفة ، ورغم فشل تلك المقاومة إلّا أنّها خلّفت نتائج هامة .

3- نتائج الثورة.

أولاً- إنهيار الثقة منذ البداية بين عرب العراق والحجّاج ، ممّا جعل العلاقة بينهما تقوم على التربص والحذر، لا سيما بعد أنْ قضى الحجّاج في هذا التمرد على عدد غير قليل من وجوه العراق وشخصياته البارزة.

ثانياً- إزدياد ثقة عبدالملك بالحجّاج ومنحه تفويضاً مطلقاً بمقاومة أيّ تمرد أو ثورة مقبلة في العراق بكلِّ عنف وشدة ، ممّا جعل مهمة الحجّاج طوال السنوات العشر الأولى من حكمه العراق أشبه ما تكون بقائد فريق قوي من رجال الاطفاء لا ينفك عن إخماد نيران الثورات التي كانت تندلع في طول العراق وعرضه.

ثالثاً-إنَّ هذه الثورة أكّدت من جديد أهمية العصبية القبلية في ذلك الوقت ، إذ وقفت قبائل من مضر وربيعة واليمن أوّل الأمر ضد الحجّاج الوالي الأموي الذي ينتمي إلى مضر، وقد أثبتت الوقائع والأحداث تعذّر إستمرار التحالف القبلي المذكور نظراً للعداء التقليدي بينها، فلمّا حان وقت القتال إنضم عدد غير قليل من المضريين إلى الحجّاج ثم لحقت بهم ربيعة عندما تأكّدت أنَّ ميزان القوى رجح إلى جانب الحجّاج.

الاستنتاجات:

مما تقدم يتبين لنا ما يأتي:

1- ان جو اهل العراق كان مشحوناً بالكره والبغض للحكم الاموي وكان مهيئاً لاي بادرةٍ تسمح بالانفجار .

2- كان للسياسة التي اتبعها الحكم الاموي مع اهل العراق والتي ترجمها واليهم الحجاج بأسلوبه الخاص دور في اعلان العديد من الثورات ضد الحكم الاموي وأول هذه الثورات ثورة عبدالله بن الجارود.

3- عدم اتباع سياسية اللين والمداراة من قبل الحكم الاموي ووالياها الحجاج بن يوسف تجاه اهل العراق لكسب ودهم وامتصاص نقمتهم .

الخاتمة:

يعد الحجاج بن يوسف الثقفي رجل الدولة الاموية المخلص في العراق والذي كرس حياته كوالي وقضى معظم ولايته في اخماد الثورات التي استعرت ضد الحكم الاموي وخاصة في العراق ومارس شتى الوسائل والطرق لإخماد تلك الثورات وكان لهذه الثورات أسباب اغلبها تعود لنتيجة سياسة الحكم الاموي اولاً والحجاج ثانياً لا سيما عندما قاموا بانقاص العطاء لكل محارب من اهل العراق فضلاً عن اجبارهم في المكوث في الثغور لفترات طويلة يضاف الى ذلك استصغار الحجاج لزعماء واهل العراق مما اثار البغض في نفوسهم وجعلها مستعدة للنفجار في أي وقت لترجمة ذلك البغض.

المصادر والهوامش

- ابن الأبار، م .(1985) الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس ، ط2 ، القاهرة: دار المعارف .
- ابن الأثير ، ع.(1965) الكامل في التاريخ ، د. ط ، بيروت.
- البلاذري ، أ.(1996)، تحقيق : سهيل زكار ، رياض الزركلي، ط1، بيروت: دار الفكر. .
- البلوي ، ي.(1287هـ) ، ألف باء في الأدب والفنون ، د. ط ، القاهرة ،.
- الجمحي ، م.(1980)،طبقات الشعراء ، مصر.
- ابن الجوزي ، ج.(المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا، ط1 ، بيروت: دار الكتب العلمية .
- ابن حبيب ، م.(د.ت) ، المحبّر ، تصحيح: ايلزة ليختن ، د . ط ، بيروت: دار المعارف .
- ابن خلدون، ع.(1988) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحاتة ، ط2 ، بيروت : دار الفكر.
- ابن خياط ، خ.(1967) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: سهيل زكار ، د . ط ، دمشق.
- الدوري ، ع ، والمطلبي ، ع.(د.ت)، أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول ، د . ط ، بيروت : دار الطليعة.

- الذهبي ، ش .(1993) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري ، ط2 ، بيروت : دار الكتاب العربي ،.
- الراوي ، ث.(1970)،العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، ط2 ، النجف .
- الطبري ، م.(1960- 1969) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، د . ط ، القاهرة .
- ابن سعد ، م.(1960)، الطبقات الكبرى ، د . ط ، بيروت .
- فلهوزن ، ي.(1968) ،،تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأُموية ، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ط2 ، القاهرة ،.
- ابن قتيبة، ع .(1963) ، عيون الأخبار ، د . ط ، القاهرة .
- ابن قتيبة ، ع.(1958)، الشعر والشعراء ، تحقيق: أحمد شاكر ، د . ط ، القاهرة .
- ابن قتيبة، ع.(1992) المعارف ، تحقيق: ثروت عكاشة ، ط2 ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- القلقشندي، أ.(1964) ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، د .ط ، الكويت ،.
- ابن كثير ، إ.(1986) ، البداية والنهاية، د . ط ، دار الفكر ،
- كحالة، ع.(1968) ، معجم قبائل العرب ، د. ط ، بيروت .
- المبرد،أ.(د.ت) ، الكامل ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، السيّد شحاته ، د . ط ، القاهرة .
- المحمدي ،ح .(2017) ، أحوال العراق الاجتماعية والاقتصادية وأثرهما في تراجع الروح العسكرية وتنامي المعارضة الدينية في القرن الأول الهجري ، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الانسانية ، العدد الاول ، حزيران .
- مسكويه، أ.(2000) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تحقيق: ابو القاسم امامي ، ط2 ، طهران: سروش .
- ابن منظور، م.(1414ه) ، لسان العرب ، ط3 ، بيروت: دار صادر .

Sources:

-Ibn al-Abbar, M. (1985) Al-Hillah al-Sayra', edited by: Hussein Mu'nis, 2nd edition, Cairo: Dar al-Ma'arif, vol. 1.

Ibn al-Athir, A. (1965), Al-Kamil fi al-Tarikh, n.d., Beirut,.-

-Al-Baladhuri, A. (1996), edited by Suhayl Zakkar and Riyad al-Zarkali, 1st ed., Beirut: Dar al-Fikr,.

-Al-Balawi, Y. (1287 AH), Alf Ba' fi al-Adab wa al-Funun, n.d., Cairo,.-

-Al-Jumahi, M. (1980), Tabaqat al-Shu'ara', Egypt, p. 112. - Ibn al-Jawzi, vol. (Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam), edited by Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta, 1st ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya,.

-Ibn Habib, (n.d.), Al-Muhabbar, edited by Ilse Lichten, n.d., Beirut: Dar al-Ma'arif 4

-Ibn Khaldun, A. (1988), Al-Ibar wa Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar fi Tarikh al-Arab wa al-Barbar wa man Asarahum min Dhawi al-Sha'n al-Akbar, edited by Khalil Shahata, 2nd ed., Beirut: Dar al-Fikr,..

--Ibn Khayyat, Kh. (1967), Tarikh Khalifa ibn Khayyat, edited by Suhayl Zakkar, n.d., Damascus,

--Al-Dawri, A., and Al-Mutalibi, A. (n.d.), Akhbar al-Dawla al-'Abbasiyya li-Mu'allif Majhul, n.d., Beirut: Dar al-Tali'a,.

--Al-Dhahabi, Sh. (1993), Tarikh al-Islam wa Wafayat al-Mashahir wa al-A'lam, edited by Umar Abd al-Salam al-Tadmuri, 2nd ed., Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi, l.

--Al-Rawi, T. (1970), Al-'Iraq fi al-'Asr al-Umawi min al-Nahiya al-Siyasiya wa Idariyya wa al-Ijtima'iyya, 2nd ed., Najaf, p. 177. - Al-Tabari, M. (1960-1969), History of the Prophets and Kings, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, n.d., Cairo,.

Ibn Sa'd, M. (1960), Al-Tabaqat al-Kubra, n.d., Beirut, vol. 7, pp. 86-87.-

Wellhausen, Y. (1968), Tarikh al-Dawla al-'Arabiyya min Zuhur al-Islam ila Nihayat aDawla al-'Umawiyya, translated by Muhammad 'Abd al-Hadi Abu Rida, 2nd ed., Cairo,

-Ibn Qutayba, 'A. (1963), 'Uyun al-Akhbar, n.d., Cairo,.-

-Ibn Qutayba, 'A. (1958), Al-Shi'r wa al-Shu'ara', edited by Ahmad Shakir, n.d., Cairo,.

--Ibn Qutayba, 'A. (1992), Al-Ma'arif, edited by Tharwat 'Ukasha, 2nd ed., CairEgyptian General Book Organization, p. 338. - Al-Qalqashandi, A. (1964), Ma'athir a-Inafah fi Ma'alim al-Khilafah, n.d., Kuwait,

Ibn Kathir, I. (1986), Al-Bidaya wa'l-Nihaya, n.d., Dar al-Fikr,

Kahhala, A. (1968), Mu'jam Qaba'il al-'Arab, n.d., Beirut,.-

-Al-Mubarrad, A. (n.d.), Al-Kamil, ed. Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, al-Sayyid Shahata, n.d., Cairo,.

-Al-Muhammadi, H. (2017), The Social and Economic Conditions of Iraq and Their Impact on the Decline of Military Spirit and the Rise of Religious Opposition in the First Century AH, Anbar University Journal of Humanities, Issue 1, June,.

-Miskawayh, A. (2000), The Experiences of Nations and the Succession of Aspirations, edited by Abu al-Qasim Imami, 2nd ed., Tehran: Soroush,.

-Ibn Manzur, M. (1414 AH), Lisan al-Arab, 3rd ed., Beirut: Dar Sader, ,

Among the manifestations of rebellion and revolution in Iraq during the governorship of Al-Hajjaj ibn Yusuf Al-Thaqafi (75 AH - 95 AH): The revolt of Abdullah ibn Al-Jarud as a model

Assist Prof.Dr. Ismael mejbel hamad

College of Education for Girls

University of Anbar

Ismael.mujbel@uoanbar.edu.iq

Keywords: Revolution, Al-hajjaj, Ibn-jaroud

Summary:

Al-Hajjaj ibn Yusuf spent the 20 years of his life as governor of Iraq and the Levant (Rajab 75 AH to Shawal 95 AH / 694-714 CE) and spent the first half of this period almost in quelling the rebellion and revolution movements to which he directed all his energies and accounted for all his efforts. A rebellion against the pilgrims had reasons and motives.However, it is noticed that these movements and revolutions were brought together by a major common factor which is the hatred of the people of Iraq for the Umayyad rule and the elements on which it depended.This represented a regional conflict between Iraq and the Levant over influence, power and material interests. , As well as other reasons the research summary can't mention. In this political atmosphere full of hatred and resentment, Iraq has witnessed many adventurers who exploited these factors and carried out several rebellions and revolt not only against the workers of the Umayyad and their loyalties, but against the Umayyad presence at its foundation, as did Mukhtar bin Abi Obaid al-Thaqafi, Mutraf ibn al-Mughayrah ibn Shu'bah, and Abd al-Rahman. Bin Mohammed bin shagha Canadian and others. Against the extremism of the opposition movements and their development as before, the Umayyads took the path of firmness and power to subjugate them. The first serious insurgency that pilgrims have faced since his arrival in Iraq. The research attempted to explain the causes and details of the revolution, with the most important result